مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد السادس، ١٩٩٣

شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى

دراسة صوتية فنولوجية

الدكتور يحيى القاسم

قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة مؤتة ، الأردن

تاريخ استلام البحث ٢٣/٩/١٩٩٢ تاريخ قبوله للنشر ١٣/٤/١٩٩٣

ABSTRACT

Suyuti's use of evidence from Various Quranic Readings : A phonological study.

This research aims at revealing Al- suyuti Various ways of argumentation by using the Qunanic Readings in order to prove his claims about phonological issues.

I have limited this research to the discussion of the phonological issues rather than to syntactical, morphological, or the semantical issues.

The phonological problems are divided by modern linguists to problems related to Vowels (harakat), laws of language development in addition to Arabic dialects and phonologic change.

I have studied the above subjects in the light of what has been reached by the modernists using contemporary research methods.

I hope that this research has covered most of the phonetical issues and that it has added to the library of AL- Suyuti some thing which might reveal his scientific program.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أوجه احتجاج السيوطي بالقراءات القرآنية لدعم ما يذهب إليه في القضايا الصوتية، وقد قصرنا بحثنا هذا على هذه القضايا لسعة الموضوع فيما لو أدخلنا فيه النواحي النحوية والصرفية والدلالية.

وقد قسم البحث القضايا الصوتية وفق ما يراه علماء اللغة المعاصرون إلى قضايا تتعلق بالحركات وقوانين التطور اللغوي بالإضافة إلى اللهجات العربية والإبدال الصوتي ثم درسنا هذه الأبواب في ضوء ما وصل إليه المعاصرون من مناهج حديثة في البحث اللغوي، راجياً أن يكون هذا البحث قد غطى القضايا الصوتية وأن يكون قد أضاف إلى مكتبة العالم السيوطي شيئاً قد يساعد في كشف منهجه العلمي.

يُعدُّ السيوطي (ت ٩١١هـ)[١] أشهر عالم موسوعي في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين، ولسنا بصدد الحديث عن حياة هذا العالم العربي الكبير، فالذين تحدثوا عنه كثيرون، في القديم والحديث، ومؤلفاته الكثيرة تملأ المكتبات العامة والخاصة، وربما لا نجد باحثاً واحداً في علوم العربية أو علوم القرآن لم يعتمد مرجعاً أو أكثر من مؤلفات هذا العالم الكبير.

موقفه من القراءات القرآنية

يُعد السيوطي من أصحاب الاتجاه المُنْصِفِ بشأن قبول القراءات، فقد تكوّن اتجاه بين علماء القراءات والعربية مؤداه أن القراءات المتواترة هي القراءات السبع، وأمّا هذه القراءات الثلاثة المُتَمِّمَةُ للعشر فهي أخبار آحاد، حتى إذا كانت صحيحة السند، وأما ما عدا ذلك من قراءات فأحرف شاذة لا يجوز القراءة بها في الصلاة، وإن كانت تمثّل أنماطاً لغوية صحيحة وشواهد على الظواهر اللغوية المتعددة.

وقد عاش في النصف الأول من القرن التاسع عالم جليل، صاحب شخصية قوية في مجال القراءات، وكان من أكثر المنصفين في الدفاع عن القراءات الصحيحة المتواترة وغير المتواترة، ذلك هو محمد بن محمد بن الجزري المتوفّى سنة ٨٣٢هـ، وليست مؤلفاته في هذا الميدان بالقليلة أو المجهولة، ولعل أشهرها كتابه النفيس (النشر في القراءات العشر)، وقد وصفه جلال الدين السيوطي في حديثه عن القراءات القرآنية، بأنه شيخ شيوخه، ولا عجب أن ينقل تعريفه للقراءة الصحيحة، ولذلك فالقراءةُ الصحيحة عند السيوطي هي القراءة الصحيحة عند ابن الجزري تماماً، وهي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، وقراءة تحمل هذه الشروط لا يجوز إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ويجب على الناس قبولها سواء أكانت مروية عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم[٢].

وأما صحة السند فأن تُرْوَى القراءةُ عن العدل الضابط عن مثله حتى منتهى السند،

وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مِمّا شذَّ بهِ بعضهم[٣]. وانطلاقاً من هذا الموقف فقد عمد السيوطي إلى الاستشهاد بالقراءات القرآنية، ما عُدّ متواتراً عند غيره وما عدَّ شاذّاً منها، لدعم بعض ما يراه أو لتأييد حكم قَبِلَهُ، وقد قمنا في هذا البحثِ القصيرِ بِتَتَبُّعِ القراءاتِ القرآنيةِ في مؤلفاتهِ اللّغويةِ المشهورة، وعلى رأسها همع الهوامع والأشباه والنظائر.

وقد وجدنا بعد تكامل مادة البحث أن ما توافر لدينا من شواهد على القضايا الصوتية يحتاج إلى بحث خاص، وكذا ما وجد من شواهد على النواحي الصرفية والتركيبية والدلالية. ولذا فقد خصصنا هذا البحث القصير للحديث عن الأصوات حيث سندرج القضايا التي استشهد بها وندرسها في ضوء ما تَوَصَّلَتْ إليه الدراسات المعاصرَةُ. وقد رأينا أنّها قد اندرجت تحت عناوين رئيسة وهي : –

١ – ما يتعلَّقُ بالحركاتِ.
٢ – ما يتعلَّقُ بقوانينِ التَّطَوُّرِ اللغويّ.
٣ – ما يتعلق بألقاب اللهجات العربية.
٤ – ما يتعلق ببعضِ مظاهرِ الإبدالِ الصَّوْتِيّ.

أولاً : ما يتعلّق بالحركات

ولهذا القسم التفريعات التالية:–

أ – إشباع الحركة القصيرة

وهذا الإشباع غير شائع في المستوى الفصيح من اللغة العربية، غير أنه وُجِدَ في اللهجات العربية، وبالتالي فقد تسرّب إلى القراءات القرآنية، وقد ذكر السيوطي أن جمهور العلماء عَدّ هذا الأمر مختصاً بالضرورة، وهو رأي سيبويه[٤] كما ذكر أن بعض العلماء قد أجاز هذه الظاهرة في سعة الكلام، وأنَّه لغةٌ لبعضِ العَرَبِ، وَخَرَّجَ على هذا الرأي قراءة : «لا تخفْ دركاً ولا تخشى»[٥]. وهي قراءة حمزة، حيث جزم على النهي[٦]. وينبغي أن تكون (ولا تخشى) عطفا على (لا تخف)، وبهذا يجب أن تكون مجزومة، أي (ولا تخش)، غير أن القارىء أشبع الحركة، كما في قوله تعالى : «إنه من يتقِ ويصبر»[٧]. فقد رُوِيَ عن قنبل أنه

قرأ : (من يتقي) بالياء[٨] وقد وهم السيوطي والقدماء عندما عَدّوا هذا الإشباع ياء؛ لأنهم نظروا إلى الخط ولم ينظروا إلى قيمته الصوتية، ولذا فقد قرروا أنه مجزوم بحذف حركة مقدّرة[٩]. وقد لمسنا في هذا المثال مقدار التردد في رأي السيوطي حيث نزعته النحوية جعلته يذكر رأي النحويين في أن الإشباع ضرورة، ويذكر رأي بعض العلماء الذين أجازوا الإشباع في سعة الكلام، وفي غالب الأمر فإن هذا الرأي يخص الجمهور من علماء السلف الذين كانوا يدافعون عن القراءات القرآنية بحرارة بالغة، ووصفوا أيّ رأي يرفض الإشباع في القرآن الكريم أو القراءات القرآنية بأنه رأي لا يعّول عليه؛ لأن النقلة الذين نقلوا القراءات كانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها، ولا يمكن أنْ يفضيَ بهم الجهلُ إلى أن يُعتَقَدَ فيهم مثل هذا[١٠]. ولم نَرَ جلال الدين السيوطي يتّخِذُ موقفا صريحاً من رأي النحويين الذين خصوا هذا الأمر بالضرورة، لأن القرآن لا ضرورة فيه، فموقفه من الرأي النحوي موقف متردد لأن النزعة النحوية يمكن أن تكون تَغَلَّبَتْ على موقفه من القراءات، وإن كان أجاز هذه القراءة.

ب- الأسماء والحركات المنزلقة

الأصل في الكلمة العربية أن تتمشى مع النظام المقطعي الذي اتخذته اللغة العربية، ولكن يحدث أحياناً أن تنزَلِقَ حركةٌ ما، وهي في الغالب الكسرة أو الضمة، فتغير ترتيب المقاطع في البنية الصرفية، ويحدث هذا الأمر في الأعم في اللهجات القديمة والحديثة.

إنّ هذه الحركةَ لم توجد في اللغة الأدبية المشتركة، غير أنها وُجِدَتْ في بعض القراءات التي عَدَّها العلماء شاذّة، وربما تَسَرَّبَتْ إلى القراءات بفعل تأثير لغات العرب ولهجاتهم، وقد ذكر السيوطي هذه الظاهرة واستشهد عليها ببعض المواضع ومنها :-

في قوله تعالى : ﴿والعَصْرِ إنّ الإنسانَ لفي خُسْر﴾[١١] فقد رُوي عن أبي المنذر سلاّم ابن سُلَيْمان الطّويل أنه قرأ : والعَصِرْ : بكسر الصاد، وهذا لا يجوز إلا في الوقف، وقد عَدَّهُ ابن مجاهد من قبيل نقل الحركة حيثُ نَقَلَ حركةَ الرّاءِ إلى الصّادِ[١٢]، وهذا ما أطلق عليه السيوطي مصطلح : (الوقوفُ بالنَّقْل).

كما استشهد السيوطي بقوله تعالى ﴿وتواصوا بالصَبْرِ﴾[١٣] فقد روى أن أبا عمرو

ابن العلاء قرأ : بالصَّبِرْ، بكسر الباء والوقوف على الراء(١٤). إن انزلاق هذه الحركة، سواء كانت الكسرة كما في هذه الأمثلة أو الضَّمَّة كما في غيرها من الأمثلة ما هو إلا مَيْلٌ من اللغة العربية إلى ما يشبه الظاهرة العامة، ودليلنا على ذلك أن اللهجات الحديثة في الأردن وفلسطين على سبيل المثال تستعمل هذه الحركة على هيئة ظاهرة مطّردة، إذ يقولون : الصبِر والصبُر والكفُر، والأَكلِ والسَّمِن والشُّرُب، والرَّبُط والرَّبطِ، وهكذا.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها على انزلاق الضمة ما جاء في قوله تعالى : «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرُّعْبَ»(١٥) فقد قرأ ابن عامر والكسائي : الرُّعُب بضم العين وقرأ باقي السبعة بسكونها، وقد ردّ بعض العلماء الأمر الى لغات العرب ورَدَّه آخرون الى الإتباع، فالأصل في هذه الحالة هو إسكان العين كالصُّبْحِ والصُّبُح(١٦) ومنها أيضاً : السُّحُت والسُّحْت. فالأصل فيها السكون وجاء الضم إتباعاً أو أن هذه الضمة مما يمكن أن نَعُدَّه حركات منزلقة.

وهذه الظاهرة ليست خاصة باللهجات العربية القديمة أو الحديثة، بل يوجد لها ما يناظرها في غير العربية من اللغات السامية، فهي موجودة في اللغة العبرية فيما يسميه علماء الساميات : الأسماء السيجولية التي يطرأ عليها في حالة الإفراد حركة تناسبها مثل mē leḫ، أي ملك، dē reḫ أي : طريق، فالكسرة القصيرة الممالة، بعد اللام والراء في هاتين الكلمتين هي كسرة منزلقة(١٧).

وقد فسر الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بعيداً عن اللغات السامية وذهب إلى أن جميع هذه القراءات كانت مشددّة، أي : والعِصرّ، وبالصبرّ بمعنى أن النَّبَرَ عند بعضِ القبائلِ التي عَمَدَتْ إلى نقلِ الحركةِ قد انتقل إلى المقطعِ الأخيرِ، أي أنهم عندما نقلوا النَّبَرَ إلى المقطعِ الأخيرِ، شَدَّدُوا الصَّوْتَ الأخيرَ ووقفوا عليه بالسّكونِ مع التشديدِ، وتَوَهَّمَ النحويون، ولم يفطنوا لهذه الصفة، وظنّوها الوقف بالنقل فقط(١٨).

ويمكن أن نحمل على هذا الحكم الذي أورده إبراهيم أنيس ما أورده السيوطي في قوله تعالى : ﴿وكُلّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطِر﴾(١٩) وذلك في قراءة عصمة بن عروة عن عاصم بن أبي النجود الذي وقف على (مستطر) بالتضعيف والسكون وهو ليس من الوقف بالنقل

عند السيوطي، ولكنه من الوقوف على المضعف بالسكون[٢٠].

جـ - في الإشمام

أورد السيوطي بعض القراءات على نوع واحد من نوعي الإشمام وهو إشمام الحركات، أي إشمام حركة ما حركةً أخرى وذلك كما في قوله تعالى : «وغيض الماء»[٢١]. فقد ذكر قراءة مَنْ أشمّ كسرة (غيض) ضمة، وهي إحدى اللغات في هذا الباب. وحقيقة الإشمام هذا كما ذكر السيوطي هي ضم الشفتين بين حركتي الضم والكسر، والنطق بحركة ممتزجة منهما[٢٢]. ولم يورد السيوطي أمثلة من القراءات القرآنية على إشمام الأصوات الصحيحة أصواتاً صحيحة أخرى.

د - إيثار أصوات الحلق للفتحة

تميل اللغة العربية إلى فتح الأصوات الحلقية. فهذه الأصوات تُؤْثِرُ حركةَ الفتح، وبالتالي فإنَّ أصواتَ الحلقِ تُؤَثِّر في البنية الصوتية للكلمة أو النظام المقطعي فيها، حتى إنّ الأصوات المجاورةَ لأصواتِ الحلقِ قد تُفْتَحُ في بعض اللهجات العربية وقد انتقل هذا التأثير من اللهجات العربية الفصيحة إلى القراءات القرآنية، ومن أمثلتها في اللهجات هذه الازدواجية في البناء الصوتي لبعض الكلمات التي تحتوي على أصوات الحلق، مثل : الشَّعْر والشَّعَر والنَّهْر والنَّهَر والظَّعْن والظَّعَن وهذه الظاهرة مقيسة عند الكوفيين فيما عَيْنُهُ صَوْتُ حَلْقٍ، وأمّا البصريون فلا يقيسونه بل هو عندهم مما جاء فيه لغتان[٢٣] ومن أمثلتِهِ من شواهد السيوطي قراءةُ بعضِ القراء : عَوَرات بتحريك الواو وهي لهجة هُذَيل، ومنها أيضاً : (عَوَرات النساء)[٢٤]. في قراءة من فتح غير أن السيوطي لم يذكر تأثيرَ أصواتِ الحَلْقِ في هاتين القراءتين[٢٥]. والذي نريد ذكره في توجيه هذه القراءات أَنَّ حروفَ الحلقِ في اللغاتِ الساميّةِ جميعها تُؤْثِرُ الفتح، بل إنّ أَثَرَها في هذه اللغاتِ يمتدُّ إلى ما قبلها باطّراد لافي أمثلة معينة مسموعة، ففي العبرية مثلاً نجد كلمة : ruwaḥ بمعنى ريح أو روح[٢٦]. والأصل فيها rūḥ ولكن صوت الحاء (ḥ) الحلقي أَثَّرَ في الصوتِ السابق فصار مفتوحاً، كما نجد في اللغة السريانية اسم الفاعل Pālaḥ ومعناه : طيّب أو صالح، حيث الأصل فيه أن يكون على وزن (فاعِل)، كالعربية غير أن الحاء فتحت الصوت السابق لأَنَّهُ

مِنَ المحال أن نفتح الحاء بسبب ضياع الإعراب من آخرها، ولذا فقد امتنع وزن (فاعِل) في هـذا المقـام، فلم يسمع من السريـان (Pāleḥ) أو (Pāliḥ) بسبب وجـود حـرف الحلق(٢٧).

وقـد ذكـر إبراهيم أنيس أن تحريك الصـوت الحلقي أخف من تسكينـه؛ لأن أصـوات الحلق تحتاج إلى اتساع في مجراها في الفم، وليس هناك ما يعوق هذا المجرى من زوايا الفم، ولذلك ناسبهـا من أصوات اللينِ أكثرها اتسّاعـاً وهي الفتحة(٢٨). وهذا التفسير العلمي الدقيق لم يتطرق إليه السيوطي بل اكتفى بعدِّهِ لهجة، والسبب أن هذه الأمور التي أوردها أنيس إنما تحتاج إلى أجهزة علمية، وهذا مما لم يتُوصَّل إليه إلا في العصر الحديث.

هـ- تحريك الساكن وتسكين المتحرك

وهـو ما يمكن أن نطلق عليـه اجتهاداً منّـا : إعادة الترتيب المقطعي؛ لأن أي حـذف من أجزاء الكلمـة أو إضافـة إليها سيعيد بنـاء المقاطع الصـوتية التي تشكّل الكلمـة بصورة تجعلها تختلف عما كانت عليه قبل حدوث الحالة الجديدة.

وقد أورد السيوطي بعض الأمثلة على هذه القضية الصوتية الفنولوجية فمثلاً إذا كانت كلمة (عشرة) في حالة الإفراد فإن الشين فيها ستكون مفتوحة، أي ((a) ʿaš̌arat) وهذا هو الأصل في هذه الكلمة، وأما إسكانُها فلا يَتِـمُّ إلا في حالة كونها مركبة، ولا يَتِمُّ هذا إلا في لغةِ الحجازِ كما نصّ السيـوطي عندما تحدّث عن قوله تعـالى : «اثنتا عشرة عيناً»(٢٩) فقد قـرىء بكسر الشين، وهي لغـة تميم، أي : ((a) ʿaš̌irat)، وقرىء بفتحها رجـوعاً إلى الأصل(٣٠).

وفي قوله تعالى ﴿رأيـتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَباً﴾(٣١) توالى كثير من المقاطـعِ القصيرةِ المفتوحةِ على النحو التالي :-

| tu | ʾa | ḥa | da | ʿa | š̌a | ra |

إي أن سبعة مقاطع قصيرة تتابعت في نمط واحد، واللغة العربية تكره توالي هذا العدد من المقاطع على الرغم من وجوده فيها، ولذلك فهي تميل إلى التقليل من عددها، أو التخلص من تتابعها عن طريق إلغاء بعض القيم الحركية فيها، ولذا فقد قرىء في الموضع السابق بتسكين العين فأصبح الترتيب المقطعي خفيفا على الناطق، وذلك على النحو التالي:-

| tu | ʾa | ḥa | da | šˇa | ra |

فأصبح المقطع (da<) = دَعْ فاصلاً بين هذا العدد من المقاطع وهو ما أطلِق عليه مصطلح التخفيف أو الحذف استثقالاً[٣٢]. ولا نكادُ نَجِدُ مِنَ المعاصرين مَنْ غَيَّرَ في جوهرِ معنى هذا المصطلح، ولكن تحديثه اقتضانا أن نطلق عليه : إعادة الترتيب المقطعي.

وفي قوله تعالى : ﴿فهو وليُّهم اليوم﴾[٣٣]. ذكر السيوطي مستشهداً على ظاهرة سكون الهاء في (فَهْوَ) إذا سبق بمقطع آخر أنه قرىء في السبع (فَهْوَ) بسكون الهاء، كما قرىء بسكونها في «ثُمَّ هْوَ يَوْمَ القيامة»[٣٤] بسكون الهاء أيضاً[٣٥]. وهي قراءة مروية عن الحلواني وإسماعيل عن نافع والكسائي[٣٦]. والمواضع على هذه الظاهرة كثيرة في القراءات، ويمكن أن نعزو سبب التسكين فيها إلى توالي المقاطع القصيرة أيضاً، وبما أن اللغة تكره هذه الظاهرة فهي تميل إلى إعادة الترتيب المقطعي، ونمثل ذلك صوتياً كما يلي:-

- فهو وَلِيُّهم fahuwa waliyyuhum

fa|hu|wa|wa fah|wa|wa

ثُمَّ هُو / _tumma huwa

_tum|ma|hu|wa _tum|mah|wa

وهذا لا يكون إلا في حالة الوصل، إذ لا يمكن إلغاء حركة هاء الضمير (هو) لأننا سننقض في هذه الحالة نظاماً صوتياً خاصاً بالعربية وهو النظام الذي لا يجيز الابتداء بالساكن.

و - تشديد الصوت الخفيف

ويخصُّ هذا الفرع النونَ في الأسماء الموصولةِ وأسماء الإشارة التي تكون علامة

للتنبيه فيها، وذكر السيوطي أن تشديد هذه النون لم يُسْمَعْ سوى في تنبيهِ اسمِ الإشارةِ والاسمِ الموصولِ، وهو عِوَضٌ من الحرفِ المحذوفِ منهما، أي : الألفُ في الإشارةِ والياء في الموصولِ إذ كان حقهما الإثبات كألف المقصور وياء المنقوص. وقد خَصّ البصريون بها حالة الرفع، وقد ذهب ابن مالك الى ترجيح رأي الكوفيين، الذين أجازوه مع الألف والياء، واستشهدَ على هذا بقراءةِ التشديد في قوله تعالى : «فَذَانِّكَ بُرهَانان»[٣٧] بتشديد نون (ذانّك) وقوله : «واللذانّ يأتيانها»[٣٨] بتشديد نون (اللذانّ) وقوله : «إحدى ابنتيّ هاتينّ»[٣٩]. وقوله : «أرنا اللذينّ»[٤٠]. بتشديد النون في (هاتينّ) و (اللذينّ) على التوالي، وقد تابعه السيوطي على هذا الترجيح ناقلاً هذه الشواهد[٤١].

ثانياً : ما يتعلق بقوانين التطور اللغوي

١ – المماثلة الصوتية Assimilation

ورد على ظاهرة المماثلة كثير من الشواهد من القراءات القرآنية وقد أطلق عليها السيوطي مصطلح الاتباع في أغلب المواضع ومنها :

– في قوله تعالى : «الحمدُ لله رب العالمين»[٤٢]. أورد السيوطي قراءة (الحمدِ) بكسر الدال، وذكر أن هذا الكسر جاء إتباعاً لكسرة اللام في (الله)[٤٣]. فقد تماثلت ضمة (الدال) في (الحمدُ) مع كسرة اللام في (لله) بسبب المجاورة، فانقلبت الضمة إلى الكسرة، وبينهما فاصل وهو الصوت الصحيح (اللام) وبهذا تكون هذه المماثلة مماثلة كليةً مدبرةً منفصلةً.

كما أورد السيوطي في هذا الموضعِ الكريمِ نوعاً آخر من المماثلةِ ولكن في قراءة أخرى، وهو عكس هذه المماثلة التي اتجهت من اليمينِ إلى اليسار حيث تأثرت كسرة اللام بالضمة قبلها فانقلبت ضمة، أي (الحمدُ لله)[٤٤] أي أن المماثلة قد سارت من اليسارِ إلى اليمينِ، أي أن المماثلةَ مماثلةٌ مقبلةٌ كليةٌ منفصلةٌ، فالفرق بينهما في الاتجاه فقط، وهو اتجاه معكوس. وقد حمل السيوطي النوع الأول (الحمدِ لله) على إبِل، ووجه الشبه بينهما ضعيف، كما ذكر أن النوع الثاني (الحمدُ لله) أسهل من النوع الأول؛ لأنه إذا كان إتباعاً فأقيس الإتباع أن يكون الثاني تابعاً للأول؛ لإنه جارٍ مجرى السبب والمسبب، والسبب أسبق من المسبب رتبةً، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال، كما أن ضمة الدال في (الحمدُ لله) ضمة

إعراب، وكسرة اللام في (لله) كسرة بناء، وحركة الإعراب أقوى[٤٥].

وهذه المسألة التي أشار إليها السيوطي مسألة جدلية، ذلك أن العلاقات الصوتية متبادلة، فقد تُؤَثِّرُ الحركةُ الأُولَى في الثانيةِ، وقد تُؤَثِّرُ الحركةُ الثانيةُ في الأولى والمُؤَثِّرةُ هي السببُ والمؤثَّر فيها هي المسبَّبُ، أي أن التأثير يمكن أن يكون متبادلاً كما أن مسألةَ قوةِ الحركةِ في الإتباع وضعفها فيه مسألة منطقية جدلية، يمكن ردّها ؛ لأنها ليست من اللغة في شيء.

ومن أمثلة تغيير الحركة الإعرابية بسبب الإتباع ما ورد من قراءة أبي جعفر المدني : «وإذا قلنا للملائكةُ اسجدوا»[٤٦]. حيث ضم التاء في (الملائكةُ) وحقها الجرّ بحرف الجرَ[٤٧]. حيث تأثرت الكسرة وهي كسرة إعراب تمثل حالة الجرّ لأنها مجرورة بالحرف بضم همزة الوصل تأثراً مدبراً كلياً متصلاً فانقلبت إلى ضمة. وقد أطلق السيوطي على هذه الظاهرة مصطلح : حركة الاقتران[٤٨].

ونحن نعرف أن الأصلَ في ضميرِ الغائبِ المُتَّصِلِ أَنْ يكونَ مضموماً، ولكنه يُكْسَرُ إذا جاءَ قَبْلَهُ كسرةٌ قصيرةٌ أو طويلةٌ أو ياءٌ، ومن الأمثلةِ التي ساقَهَا السيوطي على هذا ما ورد في قوله تعالى : «لأهلِهِ امكثوا»[٤٩] فقد قرأ حمزة : لأهلِهُ. بكسر اللام وضم الهاء، وهي قراءة ابن سعدون عن إسحق المسيبي[٥٠]. والأصل الذي قرره السيوطي ومن سبق من النحويين هو الضم كقراءة حمزة ومن معه، وهو ما تؤيده الدراسات التاريخية الحديثة، وأما الكسرُ فقد نتجَ عن عمليةِ المماثلةِ، حيث تأثرتِ الضَّمَّةُ بالكسرةِ التي بعد اللام، فانقلبتِ الضمةُ إلى كسرةٍ، وعلى هذا فنوع التأثر هو التأثر المدبر الكلي المنفصل.

وكذلك في قراءة حفص (وما أنسانيهُ)[٥١]. بضم الهاء على الأصل وقراءة غيره بالكسر على هذا القانون، والأصلُ لغةُ الحجاز وقراءةُ حفص أيضاً في (بما عاهد عليهُ الله)[٥٢]. جاءتْ على الأصلِ وقراءةُ غَيْرِهِ بالكسر[٥٣]. وقد حدث ضم الميم في الضمير (هم) مماثلة مع ضمة الهاء، وعلل السيوطي ذلك بأن السكونَ أشهرُ إذا وليها متحرك، والضم أشهر إن وليها ساكن[٥٤] وذلك كقوله تعالى (بِهُمُ الأسباب)[٥٥] في قراءة أكثر القراء حيث ضَمُّوا الميم مماثلةً مع الهاء والمماثلة في هذا المثال مقبلة كلية منفصلة.

وهناك ظاهرة في المماثلة أطلق عليها عالمنا مصطلح هجوم الحركة على الحركة من غير

قياس، وذلك في حديثه عن قوله تعالى ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[٥٦]. فلانكسار اللام قبل الهمزة صارت (فلإمِّهِ)، كسرها إشباعاً للكسرة قبلها. فهجمت كسرة الإشباع على ضمة الإعراب في مثل (إمّك) فابتَزَّيْهَا موضعها، وهذا بتعبيره شاذٌ لا يقاس عليه[٥٧].

ومن الظواهر التي يمكن أن نحملها على المماثلة بعض قضايا الإدغام التي استشهد بها السيوطي على قضايا غريبة حقاً. ومنها ما يطلق عليه بين جمهور العلماء اسم تاءات البَزّيّ، وهي قراءة ابنِ أبي بزةَ وابن فليح عن ابن كثير بوصل الهاء في الكلمة الأولى بالتاء في الكلمة الثانية وتشديد هذه التاء، ومثال ذلك قراءة (عَنهُ تّلهى)[٥٨]. بشد التاء و (مالكم لا تّناصرون)[٥٩] بتشديدها أيضاً[٦٠]. والأصل منها (تتلهى) و (تتناصرون) فأدغم التاءَ في التاءِ وهذا لا يكونُ إلاّ في الوصلِ، وكان من المنتظر أن يطبق قانون الحذف بحذف إحدى التاءَين. ومن الظواهر الغريبة ما يسمى بإدغام أبي عمرو بن العلاء في بعض المواضع ولم يحصل هذا الإدغام الذي أشار إليه السيوطي إلا بعد إلغاء بعض القيم الحركية، ومثال ذلك قراءته في قوله (سَنُلْقي في قلوبِ الذين كفروا الرُّعْبَ بما أَشْرَكوا)[٦١]، بإدغام الباء في (الرُّعْب) بالباء في (بما)[٦٢]، وهذا لا يكون إلا بعد إلغاء الفتحةِ، فالحركة تَمْنَعُ الإدغام، وربما كان من الأحسن أن نعلل ذلك بسقوط الحركة الإعرابية، وعندها يلتقي ساكن مع متحرك من المخرج نفسه فندغم أحدهما في الآخر.

ولعل حذف الحركة لا يكون بدرجة غرابة حذف الصوت الصحيح حتى يحصل الإدغام ففي قوله تعالى (لمن الآثمين)[٦٣] حذفت الهمزة فالتقت النون الساكنة مع اللام المفتوحة فأدغمت فيها[٦٤]. فأصبحت كما يلي :-

لَمِنَ الآثمين > لمنْ الأثمين > لمِلّاثمين

ولعل هذا المثال يبين لنا الطريقة التي تعامل فيها السيوطي والقدماء مع ظواهر الإدغام، وهو ما ورد في قوله تعالى (ساحران تَظّاهرا)[٦٥] في قراءة تشديد الظاء التي ذكرها السيوطي دون أن يَعْزُوَها[٦٦] وعزاها ابن خالويه إلى يحيى الذماري ولَحَّنَ القارىء لأن الفعل ماضٍ. ولا تشدد هذه الظاء إلا في المضارع[٦٧].

وإذا كان الأمر كما ذكره القدماء فإن الحق معهم، غير أننا حتى نلتمس وجها لهذه القراءة الشاذّة يجب أن نعرف أن اللغات السامية ما عدا العربية والعبرية والآشورية قد

بدأت بالتخلُّصِ من الحركةِ القصيرةِ في المقطع المفتوحِ فمثلاً كلمة (حكيم) في اللغة العربية تبدأ بمقطع قصير وهو (ḥ a) والحركة القصيرة في هذا المقطع هي المكروهة في اللغات السامية لذلك فقد تخلصت منها بعض هذه اللغات، فصارت في السريانية ḥak | kī | ma باغلاق المقطع عن طريق تشديد الصوت الذي يليه، أي (حَكّيما)، وأما في العبرية فقد أطالوا هذه الحركة فصارت فتحة طويلة أي (ḥāḥām) = حاخام.

ويبدو أن بعض اللهجات العربية قد جنحت إلى هذه الظاهرة التي وقفها نزول القرآن، فقامت بإغلاق المقطع القصير المفتوح عن طريق تشديد الصوت الذي يليه كما فعلت السريانية.

وبالإضافة إلى هذه الأنواع من الأتباع فقد حدثنا السيوطي عن نوع آخر منه يلغي بعض الظواهر الإعرابية، فهناك إتباع إعرابيّ، كقوله تعالى (وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين) حيث نوّن (سبأ)[٦٨] إتباعاً للفظ الذي بعدها (بنبأٍ) وهي ممنوعةٌ من الصَّرْفِ، ومثله قراءة (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالا وسعيراً)[٦٩] فقد قرأ نافعٌ وعاصمٌ في رواية والكسائي، سلاسلاً في الوقف والوصل وهي قراءة الجمهور في الوصل[٧٠] فقد أَتْبَعَ (سلاسلا) الممنوعة من الصرف تنوين (أغلالاً) والأصل فيها أنها ممنوعة من الصرف.

٢ – قانون الحذف

تكره اللغة العربية ما أطلق عليه توالي الأمثال، وهو اصطلاحنا مع شيء من التغيير الذي يناسب طبيعة الدرس اللغوي الحديث، فهو عندنا تتابع المقاطع المتماثلة ولذلك تقوم اللغة بالاستغناء عن أَحَدِ المقطعينِ المتماثلينِ. وقد أورد السيوطي بعض الأمثلة على هذا، مثل قول العرب : لتضْرِبُنّ يا قوم ولتضرِبنّ يا هند فأصلهما لتضربونَ ولتضربينّ، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال بتعبير السيوطي، كما حذفت هذه النون في قوله تعالى: ﴿أتحاجوني﴾[٧١] كراهة اجتماعها مع نون الوقاية[٧٢]. ومما يجدر ذكره أن قراءة تخفيف النون قراءة سبعية متواترة، لنافع وابن عامر[٧٣].

ومثل هذا الموضع أيضاً ما أورد من قراءة في قوله تعالى ﴿فلا تناجوا﴾[٧٤] وهي قراءة الجمهور، وقد جاءت على حذف أحد المقطعين المتماثلين، إذ الأصل منها (فلا تتناجوا) فتوالى مقطعان متشابهان وهما tata في أول الكلمة فحذف أحد المقطعين في قراءة

الجمهور، في حين أن قراءة عبد الله بن مسعود تتناجوا على الأصل[٧٥].

كما ذكر السيوطي مثالاً آخر على هذه الظاهرة وهو قراءة ابن محيصن (أنذرتهم) بهمزة واحدة[٧٦] في قوله (سواء عليهم أنذرتهم)[٧٧].

٣ - القياس

دخل كثير من الأنماط اللغوية إلى اللغةِ العربيةِ الفصحى نتيجةً لتطبيق الناطق بالعربية لقانونِ القياسِ، ورُبَّما كانَ وَجْهُ الشَّبَهِ متوهَّماً.

ولهذا فإن هذه الأنماط التي أطلق عليها القدماء مصطلح (التوهم) دخلت اللغة الفصيحة وأصبحت من ألفاظها الأصيلة، وقد نزلت بها بعض الآيات. ففي قوله تعالى ﴿لتّخذت عليه أجرا﴾[٧٨] حدثنا السيوطي أن هذا الموضع قرىء بتخفيف التاء، وذهب إلى أن قراءةَ التخفيفِ وقراءةَ التشديدِ بمعنى واحد غير أنّه لم يتحدَّث عن كيفيةِ وصولِ هذا الفعلِ إلى العربيةِ الفصيحةِ، واستعماله فيها جنباً إلى جنب مع صيغة (أفعل) التي اشتقت من الفعل (أخذ).

وحتى نصل إلى حقيقة هذا الفعل لابد أن نعرف أصله الثلاثي، وهو الفعل (أخذ) فاذا صُغنا منه وزن (افتعل) فإنه سيصبح إتخذ، ثم حذفت اللغة أحد المتماثِلَيْنِ، والحذف يوجب التعويض فعوضت المحذوف عن طريق تشديد التاء، فأصبح (اتّخذ) فحصل قياس على الأفعال التي تبدأ بتاء مثل (تبع) ووزن (افتعل) منه (اتّبع) فإذا أعدناه إلى صيغته الثلاثية سيصير (تبع) وكذا حصل في (اتّخذ) قياساً على (اتبع) فحَدَث عندنا فعل جديد وهو صيغةُ (تخذ) التي استعملت جنباً إلى جنب مع الفعل الأصلي (أخذ).

٤ - المبالغة في التصويب Over Correction

ذكرنا سابقاً أن ظواهر التطور تتم تلقائياً، وقد يحدث في قياس شيء على شيء أَنْ يَتَوَهَّمَ القائمُ بعملية القياس وجود شبه ما بين المقيس والمقيس عليه فيعطي المقيس حكم المقيس عليه، وقد حدث قبل نزول القرآن بكثير أن اللهجة الحجازية استغنت عن الهمز في اللهجة المحكية، ولكن الفصحى عندما تَشَكَّلَتْ، اتَّخَذَتِ الهَمْزَ شعاراً لها من اللهجات البدوية النجدية، ولذا فقد قام الحجازيون بإعادةِ الهمزاتِ التي أسقطوها إلى أماكنها، ومن الطبيعي أن هذه الكلمات ستجرُّ معها كلمات غير مهموزة أصلاً، ولكنها تشبه الكلمات

التي خففت همزاتها من حيث الشكل الصوتي، مثل :

بأس > باس > بأس

(الأصل) ← (حجازية) ← عودة إلى الأصل

ناس ناس نأس

(الأصل) > (عامّة) > (حجازية مقيسة على بأس)

ومن الأمثلة التي أوردها السيوطي على هذه الظاهرة ما ورد في قوله تعالى : «ولا الضالين»[٧٩] بهمز الألف[٨٠]، وهي قراءة أيوب السختياني[٨١] ومثل هذا الموضع ما ورد في قوله تعالى : «فيومئذ لا يُسْأَلُ عن ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جان»[٨٢] فقد قرأ عمرو بن عبيد : ولا جأن بالهمز[٨٣]، وقد علل السيوطي والقدماء هذا الهمز بأن الألف المسبوقة بفتحة قد تُهْمَزُ في لهجةٍ من لهجات العرب كما أن الواو المسبوقة بضمة قد تهمز في هذه اللغة، ويستشهدون على هذا بقوله تعالى : ﴿يؤقنون﴾ في قراءة أبي حيوة كما ذكر السيوطي وابن خالوية[٨٤] غير أن النظير الذي ساقه السيوطي لم يكن مُوَفَّقاً في إثبات هذه النظرية، فالهمز جاء على إعطاء الواو المجاورة للضمة حكم الواو المفتوحة، فهمزت كما قيل في وجوه: أجوه وفي وقتت : أقتت[٨٥] ويمكن أن نحمل على هذا القانون قضايا أخرى لا تتعلق بالهمز، كقضية جمع المذكر السالم، فهو يرفع بالواو ويجر وينصب بالياء، وهناك كلمات لونها الصرفي جمع تكسير، أو غير ذلك، ولكنها تنتهي بالياء والنون، وبالتالي فقد يَتَوَهَّمُ غَيْرُ الناطقينَ بالعربية، وربما بعض الناطقين بها أنها جمع مذكر سالم، فيعاملونها معاملته، ومن هذه الألفاظ؛ فلسطين، ويبرين، ونصيبين وقنّسرين، وياسمين وبساتين، فقد قيل فيها : فلسطون ويبرون ونصيبون وقنسرون وياسمون وبساتون[٨٦].

وقد عَدَّ السيوطي أن هذا الوهم جاء تشبيهاً لزيادتي التكسير فيها بزيادة الجمع السالم فنقل الإعراب بالحركات إلى البعيد، ومن هذا قراءة الحسن البصري : «وما تَنَزَّلَتْ به الشَّياطون»[٨٧] توهم أن الشياطين جمع مذكر سالم فعاملها معاملته[٨٨].

٥ – تخفيف الهمز وإلغاؤه وإعادة ترتيب المقاطع الصوتية :

ذكرنا في القانون السابق أن الحجازيين تخلصوا من النبر أو الهمز في لهجتهم المحكية

وأن العربية الفصحى قد اختارت الهمز من ظواهرها، ومع هذا فقد كان الحجازيون لا يهمزون وقد نزلت بعض القراءات المتواترة غير مهموزة، وبعض القُرّاء من أصحاب الشواذ كانوا لا يهمزون باختيارهم، وعندما درس العلماء هذه الظواهر درسوها على أنها شواهد لغوية مقبولة سواء كانت متواترة أم لا وقد ذكر السيوطي بعض هذه القراءات تحت باب أنواع الحركات، فذكر من أنواع الحركات حركة النقل، فمثلاً الأصل في (قَدْ) أن تكون مبنيةً على السكون ولكن في قوله تعالى : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[٨٩] حذف ورش همزة (أفلح)[٩٠] وبقيت حركتها، فظن السيوطي ومن رأى هذا الرأي أن الحركة قد انتقلت إلى (قد) والحقيقة أن الذي حصل هو إعادة ترتيب للمقاطع على النحو التالي :-

١ - الأصل Ḳad | > af | La | ḥa

٢ - بعد حذف الهمزة Ḳa | daf | La | ḥa

وبقي عدد المقاطع ثابتاً ولكن تَغَيَّرَ تَرْتِيبُهَا بسببِ حذفِ الهمزةِ. ومثل هذا المثال ما أورده السيوطي في الموضع نفسه في حديثه عن حركة النقل في قراءة من حذف الهمزةَ في قوله تعالى ﴿ألم تَعْلَمْ أن الله على كُلِّ شيءٍ قديرٍ﴾[٩١] حيث قُرئت (ألم تعلمَ ان) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الميم المجزومة[٩٢] ونذهب في هذا الموضع إلى ما ذهبنا إليه في الموضع السابق، إذ حذفت الهمزة فقط ولم تنقل حركتها، والذي حدث هو إعادة لترتيب المقاطع الصوتية على النحو التالي :-

١ - الأصل ta< | Lam | > an | na | Lā | ha

٢ - بعد حذف الهمزة ta< | La | man | nal | Lā | ha

حيث حدث امتزاج في المقاطع الصوتية.

وقد يُحدِثُ حَذْفُ الهمزةِ تغييراتٍ كثيرةً في بنيةِ بعضِ الكلماتِ، وفي ترتيب مقاطعها كقراءة من قرأ (قالوا لأن جئت بالحق)[٩٣] وهي قراءة ورش حذف همزة (الآن)[٩٤] فتغير ترتيب المقاطع الصوتية كذلك، ونُمثله بالمخطط الصوتي التالي :-

١ - الأصل Ḳa | Lul | > ā | na

٢ - بعد حذف الهمزة Ḳa | Lu | Lā | na

حيث سقطت الهمـزةُ من المقطعِ الثالـثِ فقط وتَحَوَّلَ المقطعُ الثاني من النـوع القصير المغلق إلى المقطعِ الطويلِ المفتوحِ.

ووصف السيوطي قراءة الجمهور (قالوا الآن) بأنها القراءة القوية لأن الحركة عارضة للتخفيف وأمّا قراءةُ ورش فهي لغة[٩٥].

وأكثر من هذا التغيير في ترتيب المقاطع ما أورده في قراءة الكسائي (بما أنزليّك) في قوله (بما أنزل إليك)[٩٦]، وذكر السيوطي أن القياس هو أن تجعل الهمزة بين بين، ولكنه حذف الهمزة حذفـاً وأُلْقَى كسرتها على لام (أنزل) وقد كانت مفتـوحة فغلبت الكسرة الفتحة على الموضع[٩٧] وأما تحليلنا الصوتي لها فيتم على النحو التالي :

١ – الأصل bi | ma | > an | za | La | > i | Lay | Ka

٢ – بعد حذف الهمزة bi | ma | > an | zaL | Lay | Ka

فالـذي حدث أن الكسائي حذف الهمـزة وحركتها وأدغم الـلام في اللام، أي أن المقطع القصير المفتوح (za) أصبح قصيراً مغلقـاً (zal) وحذف المقطـع القصير المفتوح (> i) فأعيد ترتيب المقاطع فأصبح (zal / Lay)

٦ – قانون تطور الأسماء المعتلة :

إن المتابعة التـاريخية للأسماء المعتلة تثبت لنـا أن الأصل في الأسماء المعتلة إنها كانت صحيحة ثم تجاوزت هذه المرحلة إلى مراحل أخـرى حتى وصلت إلى مرحلة الاعتلال أو ما يسمى في علم اللغة التـاريخي (مرحلة الفتـح الخالص) فالمرحلة الأولى لكلمـة (فتى) مثلا ستكـون : فتيُ Fa | ta | yu وأما المرحلـة الثانية فهي مـرحلة ضياع الحركة بعـد الياء Fatay وأمـا المرحلة الثـالثة فهي مـرحلة انكماش الصـوت المركب (ay) حيث يصبـح (Fa tē) وهذه المرحلة هي المرحلة التي وصل إليها نطق البدو في نجد، وأما المرحلة الأخيرة التي وصلت إليها لغـة حاضرة الحجاز[٩٨]، فهي مرحلـة الفتح الخالص Fatā وعلى هذا يمكن أن نوجه موضعاً مشكلاً من القرآن الكـريم، وهو الموضع الذي احتدم النقاش حوله لدى السابقين، فقـد نقل إلينا أن أحد القضاة سأل أبـا الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي؛ ما وجه قراءة من قرأ (إنّ هذان لساحران)[٩٩] فأطرق ملياً ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة، وقد استقام الأمر، قال : فما علةُ بنـائها؟ قال : لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني،

والجمع (هؤلاء) وهـو مبني، فتحمل التثنية على الوجهين، فأعجب القاضي ذلك، وقـال : ما أحسنه لو قال به أحد فقال ابن كيسان : ليقل به القاضي وقد حسن[١٠٠].

ومع أن هـذا الحل قـد أعجب القـاضي إلا أنـا لا نـراه الحل لهذا الموضع المشكل لأن مواضع أخرى غيره وردت معربـة في كتاب الله وغيره من الكلام العربي، ويمكن أن نحمل هذا الموضع على المرحلة الثـانية من مراحلِ تطورِ الأسماءِ المُعْتَلَّةِ. فـ (هذين) تحتوي على الحركة المركبة (ay)، أي : hāḏayn وهذه الحركة المركبـة انكمشت في نطق بعض القبائل ووصلت إلى المرحلة الثالثة، وهي مـرحلة القبائل النجدية hāḏēn ثم انتقل هـذا النمط إلى المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة الفتح الخالص فأصبحت hāḏān.

٣ – ألقاب اللهجات العربية : –

استشـهد السيـوطي على ألقاب اللهجات العـربية في ثلاثـة مواضع : ففي قولـه تعالى : ﴿فإنهم يألمون كما تألمون﴾[١٠١] ذكر أنه قـرىء يئلمون كما تئلمون[١٠٢] وقد استشـهد السيـوطي بهذه القراءة على جـواز كسر اليـاء مطلقاً في أول الفعل المضـارع[١٠٣] وهو ما نطلق عليه لقب التلتلة الـذي لم يفسره السابقون سوى أنهم قالـوا إنه كسر أوائل حروف المضارعة وهو عَيْبٌ من عيوب لهجة بهراء.

وفي قوله تعالى : «فتولَ عنهم حتى حين»[١٠٤] و «ليسجننه حتى حين»[١٠٥] قرأ عبد الله بن مسعود : عَتّى حين[١٠٦] وتعرف هذه الظاهرة بفحفحـة هذيل، وهي لغة عند السيوطي وغيره، ولم يولِ السيوطي هذه الظاهرة عناية صوتية، ولكنه ذكر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عبد الله بن مسعود إن الله أنزل القرآن عربياً وأنزلـه بلغة قريش فلا تقرىء الناس بلغة هذيل[١٠٧] وقد ذهب رابين Rabin(*) إلى أن (عتى) الهذلية منحوتة من (حتى) العربية و (عَدّ) الموجودة في السبئية[١٠٨].

وفي قولـه تعالى : ﴿قـل أعوذ بـرب الناس﴾[١٠٩] قرىء قـل أعوذ بـرب النات بـالتاء واستشـهد بهذه القراءة على أنها نظير لابـدال سين (سيما) تاء ولم يذكر اسـم الظاهرة أو تفسيرها[١١٠] وقد ذكر ابن خالويه أن (النـات) بالتاء لغة لقضاعة[١١١] وهذا ما نعرفه في ألقاب اللهجات بظاهرة الوتم؛ وهـو لقب يعزى إلى اليمن أيضاً. وقد ذهب الأستاذ إبراهيم أنيس إلى أن المبرر الصـوتي لانقلاب السين تـاء هو التماثل في المخـرج وكونهما صـوتين مَهْموسين[١١٢].

٤ – في الإبدال الصوتي :–

في حديث السيوطي عن (ألا) ذكر لغة فيها، وهي قلب الهمزة هاء وذكر أنه قرىء (هلا يسجدوا لله)[١١٣] بالهاء، وهو إبدال مفسر أيضاً فالهاء والهمزة كلاهما صوت حنجري مهتوت ويمكن أن يبدل أحدهما من الآخر.

وتحدث عن إبدال الثاء فاء فقال : «وأقول قد صارت لي بكما وسيلة فوسعا لي في الجَدَث، إن شئتما بالثاء وإن شئتما بالفاء، فإن إحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا مغاثير ومغافير، وأثافي وأفافي وفوم وثوم، وكيف تقرآن رحمكما الله هذه الآية «وثومها وعدسها»[١١٤] بالتاء كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس»[١١٥] وتفسير هذا الموضع كتفسير الموضع السابق وهو أن التقارب في المخرج هو الذي سَوَّغَ هذا الإبدال.

المراجـــع والمصـــادر

* إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية – القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣ (١٩٦٥م).

* الدكتـور أحمد نصيف الجنابي، ملامح مـن تاريخ اللغة العـربية، بغداد، دار الـرشيد (١٩٨١م).

* ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٢هـــ)، النشر في القراءات العشر، نشره علي محمد الضباع، بيروت، دار الفكر (د.ت).

* ابن جني، أبو الفتح (ت ٣٩٢هـ).
– سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، (١٩٨٥م).

* المحتسب في تبيين وجـوه شواذ القـراءات والإيضاح عنهـا تحقيق علي النجدي نـاصف وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للمقدسات الإسلامية، القاهرة، (١٩٦٩م).

* أبو حيـان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـــ)، البحر المحيط، مطـابع النصر الحديثـة بالـرياض، (١٩٨٣م).

* ابن خالويه، (ت ٣٧٠ هـ) مختصر في شواذ القراءات نشره المستشرق برجشتراسر، دار الهجرة، بيروت (د.ت).

* خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ط ٨ (١٩٨٩).

* الدميـاطي، البنا. (ت ١١١٧هـــ) إتحاف فضلاء البشر في القـراءات الأربعة عشر، نشرهُ الدكتور شعبان إسماعيل، عالم الكتب بيروت، ط ١ (١٩٨٧).
الدكتور رمضان عبد التواب.
– بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٩٨٨م).
– فصول في فقه العربية، القاهرة مكتبة الخانجي، (١٩٨٧م).
– في قواعد الساميات، القاهرة، مكتبة الخانجي (١٩٨٣م).

* الزمخشري، أبو القاسم (ت ٥٣٧هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، بيروت، دار المعرفة (د.ت).

* ابن زنجلة، أبو زرعة (؟) حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤ (١٩٨٤م).

* سيبويه، أبو بشر (ت ١٨٠هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون عالم الكتب، بيروت (د.ت) مصور عن طبعة الهيئة العامة بالكتاب، القاهرة.

* السيرافي، أبو سعيد، إدغام القراء، تحقيق محمد علي الرديني مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٤م).

* السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ).
- الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).
- الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٩٨٤م).
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٩٧٩-١٩٨٠م.

* العكبري، أبو البقاء، إملاء ما مَنّ به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٩٧٩م).

* علي العناني وآخرون، الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، القاهرة ١٩٣٥م.

* ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف (د.ت).

* مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

* نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

الهوامـــش

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين / بيروت ط ٨ / ١٩٨٩، ٤/ ٣٠٢.

(٢) ابن الجزري، النشر في القـــراءات العشر، دار الفكـــر، بيروت (د.ت) ١/ ٩ وانظـــر : السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١/ ٩٩.

(٣) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/ ١٣.

(٤) سيبويه، (ت. ١٨هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (د.ت) ٣/ ٣١٦.

(٥) سورة طه الآية : ٧٧.

(٦) مكي بن أبي طـالب القيسي (ت ٤٣٧)، الكشـف عن وجـوه القـراءات السبع، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٥م) ٢/ ١٠٢.

(٧) سورة يوسف الآية : ٩٠.

(٨) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٩٧.

(٩) جـلال الدين السيـوطي، همع الهوامع، تحقيق عبـد العال مكـرم – مطبعـة حكومـة الكويت (١٩٨٠)، ١/ ١٧٩..

(١٠) أبـو حيان الأنـدلسي، البحـر المحيط، مطابع النصر الحديثـة بـالريـاض (١٩٨٣) ٥/ ٤٣٢.

(١١) سورة العصر، الآية : ١.

(١٢) السيـوطي، همع الهوامع ٦/ ٢١١ وانظـر ابن مجاهـد، السبعة، تحقيق الـدكتـور شوقي ضيف ص ٦٩٦.

(١٣) سورة العصر، الآية : ٣.

(١٤) السيوطي، همع الهوامع ٦/ ٢١٠ وابن مجاهد، السبعة ص ٦٩٦.

(١٥) آل عمران : الآية ١٥١.

(١٦) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ٣/ ٧٧. وانظر : ابن زنجلة، حجة القراءات : ١٧٦.

(١٧) علي العناني، الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها القاهرة (١٩٣٥م) ص ٩٧ والدكتور رمضان عبد التواب، في قواعد الساميات، مكتبة الخانجي - القاهرة (١٩٨٣م) ص ٣٢-٣٣.

(١٨) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط ٣ (١٩٦٥)، ص ١٤٨-١٤٩.

(١٩) سورة القمر الآية : ٥٣.

(٢٠) السيوطي، همع الهوامع، ٦/ ٢٠٩، وذكر ابن خالويه أن قراءة عصمة هي : مستطرٍ، انظر مختصر في شواذ القرآن، نشرهُ برجشتراسر دار الهجرة (د.ت) ص ١٤٨.

(٢١) سورة هود، الآية : ٤٤.

(٢٢) السيوطي، همع الهوامع، ٦/ ٣٨-٤٠.

(٢٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٦/ ٣٥٢.

(٢٤) سورة النور، الآية : ٤١.

(٢٥) السيوطي، همع الهوامع ١/ ٧٣ وهي قراءة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، انظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٣.

(٢٦) الدكتور رمضان عبد التواب، في قواعد الساميات، ص ١٩.

(٢٧) المرجع نفسه ص ٢٤٢.

(٢٨) الدكتور إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٧٠.

(٢٩) سورة البقرة الآية : ٦٠، سورة الأعراف الآية : ١٦٠.

(٣٠) السيوطي، همع الهوامع ٥/ ٣١٢ وانظر : العكبري (ت ٦١٦)، إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٩٧٩)، ١/ ٣٩.

(٣١) سورة يوسف، الآية : ٤.

(٣٢) السيوطي، همع الهوامع ٥/٣١٢.

(٣٣) سورة النحل، الآية : ٦٣.

(٣٤) سورة القصص، الآية : ٦١.

(٣٥) السيوطي، همع الهوامع ١/٢١٠.

(٣٦) ابن زنجلة، أبو زرعة، حجة القراءات تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ٤ (١٩٨٤) ص ٥٤٨.

(٣٧) سورة القصص، الآية : ٣٢.

(٣٨) سورة النساء، الآية : ١٦.

(٣٩) سورة القصص، الآية : ٢٧.

(٤٠) سورة فصلت، الآية : ٢٩.

(٤١) انظر ابن هشام أوضح المسالك ١/٩٩ والسيوطي، همع الهوامع ١/١٦٦ وانظر : العكبري : إملاء ما من به الرحمن ١/١٧١ و ٢/١٧٧ و ٢/١٧٨.

(٤٢) سورة الفاتحة، الآية : ٢.

(٤٣) السيوطي، الأشباه والنظائر ١/١٥ و ٣/٦٥ وهمع الهوامع ١/٦٠.

(٤٤) السيوطي، الأشباه والنظائر ١/١٣ وهمع الهوامع ٣/٥٤.

(٤٥) السيوطي، الأشباه والنظائر ١/١٦-١٧.

(٤٦) سورة البقرة، الآية : ٣٤.

(٤٧) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣/٦٥ وهمع الهوامع ١/٦٠ وانظر : ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ٣.

(٤٨) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣/٦٥.

(٤٩) سورة طه الآية : ١٠.

(٥٠) السيوطي، همع الهوامع ١/٢٠٢ وانظر ابن مجاهد، السبعة، ص ٤١٧.

(٥١) سورة الكهف، الآية : ٦٣.

(٥٢) سورة الفتح، الآية : ١٠.

(٥٣) السيوطي، همع الهوامع ١/٢٠٢.

(٥٤) السيوطي، همع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٥٥) سورة البقرة، الآية : ١٦٦.

(٥٦) سورة النساء، الآية : ١١.

(٥٧) السيوطي، الأشباه والنظائر ١/ ٢٠٥.

(٥٨) سورة عبس، الآية : ١٠.

(٥٩) سورة الصافات، الآية : ٢٥.

(٦٠) السيوطي، همع الهوامع، ٦/ ١٧٧ وابن مجاهد، السبعة ص ٦٧٣.

(٦١) سورة آل عمران، الآية ١٥١.

(٦٢) السيوطي، همع الهوامع، ٦/ ٢٨٤ وانظر السيرافي، ادغام القراء تحقيق محمد الرديني ص ٣.

(٦٣) سورة المائدة، الآية : ١٠٦.

(٦٤) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣/ ٥٩ وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ٣٥.

(٦٥) سورة القصص، الآية : ٤٨.

(٦٦) السيوطي، همع الهوامع ١/ ١٧٦.

(٦٧) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ١١٣.

(٦٨) سورة النمل، الآية : ٢٢.

(٦٩) سورة الإنسان، الآية : ٤.

(٧٠) الأشباه والنظائر ١/ ١٨-١٩ وانظر ابن مجاهد، السبعة ص ٦٦٣.

(٧١) سورة الأنعام، الآية : ٨٠.

(٧٢) السيوطي، الأشباه والنظائر ١ / ٢٥.

(٧٣) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٦١.

(٧٤) سورة المجادلة، الآية : ٩.

(٧٥) السيوطي، الأشباه والنظائر، ١ / ٣٢-٣٣ وانظر ابن خالويه مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٣-١٥٤.

(٧٦) الأشباه والنظائر ١ / ٤٩-٥٠ وهي قراءة الزهري أيضاً انظر . ابن جنى المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي (القاهرة ١٩٦٩م) ٢ / ٢٠٥.

(٧٧) سورة يس، الآية : ١٠.

(٧٨) سورة الكهف، الآية : ٧٧.

(٧٩) الفاتحة : ٧.

(٨٠) السيوطي، همع الهوامع : ٦ / ١٧٧.

(٨١) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١.

(٨٢) الرحمن : ٣٩.

(٨٣) السيوطي، همع الهوامع : ٦ / ١٧٧، وانظر مختصر في شواذ القرآن، ص ١٥.

(٨٤) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ١٧٨، ومختصر في شواذ القرآن ، ص ٢.

(٨٥) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ١٧٨، وانظر : ٤ / ٢٣٣.

(٨٦) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، تحقيق شيخ الراشد، دمشق (١٩٨٦م)، ص ١٢٣.

وانظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق (١٩٨٥م)، ص ٦٢٤-٦٢٥-٦٢٧.

(٨٧) الشعراء : ٢١٠.

(٨٨) السيوطي، همع الهوامع ١ / ١٦٠ وهي قراءة الأعمش أيضاً، انظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٨.

(٨٩) المؤمنون : ١.

(٩٠) السيوطي، همع الهوامع : ١ / ٦٠، وانظر البنا الدمياطي إتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٢٨١.

(٩١) البقرة : ١٠٦.

(٩٢) السيوطي، همع الهوامع : ١ / ٦٠.

(٩٣) البقرة : ٧١.

(٩٤) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ٣٠ وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ٧.

(٩٥) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ٣٠.

(٩٦) آل عمران : ١٦٦.

(٩٧) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ٢٠٥.

(٩٨) الدكتور رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٢ (١٩٨٨م)، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٩٩) طه : ٦٣، وهي قراءة معظم السبعة، انظر مكي بن أبي طالب، الكشف : ٢ / ١٠٠، وابن مجاهد، السبعة، ص ٤١٩.

(١٠٠) السيوطي، الأشباه والنظائر : ٣ / ٢١٤.

(١٠١) النساء : ١٠٤.

(١٠٢) السيوطي، همع الهوامع : ٦ / ٣٤، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، بيروت، دار المعرفة (د.ت) ١ / ٥٦١.

(١٠٣) السيوطي، همع الهوامع : ٦/ ٣٤.

(١٠٤) الصافات : ١٧٤.

(١٠٥) يوسف : ٣٥.

(١٠٦) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢، والسيوطي : همع الهوامع : ٤/ ١٦٨ و ٤/ ١٧٢.

(١٠٧) السيوطي، همع الهوامع : ٤/ ١٦٨، وانظر ابن جني المحتسب، ١/ ٣٤٣.

(*) Rabin, C. مستشرق انجليزي معاصر عني باللغة العربية الفصحى والعبرية القديمة، وله مؤلفات كثيرة في اللغات السامية. انظر : المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة (١٩٨٠م). ٢/ ١٢٠-١٢١.

(١٠٨) الدكتور رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ١١٩، والدكتور أحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللغة العربية، بغداد (١٩٨١م)، ص ٣٨.

(١٠٩) الناس : ١.

(١١٠) السيوطي، همع الهوامع : ٣/ ٢٩٥.

(١١١) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٨٣.

(١١٢) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٠٧.

(١١٣) النمل : ٢٥، وانظر السيوطي، همع الهوامع : ٤/ ٣٦٧.

(١١٤) البقرة : ٦١، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ٦.

(١١٥) السيوطي، الأشباه والنظائر : ٤/ ٢٣٤-٢٣٥.